# نظرة المسلم للكفار

كتبه غريب بتاريخ الأربعاء ٢٠ ذي القعدة ١٤٤٢

عندما بدأت بكتابة مقال كيف يتعامل المسلم مع الكفار وفاء بوعدي لكثير من الأخوة الذين طلبوه مني، وجدت أنه من الضروري التأصيل للموضوع ومعرفة الأصل في نظرة المسلمين للكفار هل نظرة إيجابية بمعنى أن صاحبها يسعى في إنقاذهم من النار ؟

أم أنها نظرة سلبية صاحبها حريص على موتهم كفاراً ليدخلوا النار ؟

طبعا إذا سألت أحدهم قائلا كيف ينظر المسلم إلى الكفار ؟

سيجيبك غالبا أنه عليه أن يبغضهم ويعاديهم لكي يحقق عقيدة الولاء والبراء, وقد يؤكد على العداوة والبغض باعتبارها ملة إبراهيم عليه السلام إذا كان المجيب من التيار السلفي الجهادي

فهل هكذا فعلا أمر اللّه أن تكون نظرة المسلمين إلى الكفار عموما, أم أننا وقعنا فريسة للظروف والتاريخ وهو الذي شكل عندنا هذا التصور عن الكفار؟!

للإجابة على هذه الأسئلة علينا أن ننسلخ من ذواتنا وأفكارنا كما بينت في مقال كيف تكون مسلما حقا ونأتي مذعنين مخبتين لوحي اللّه عز وجل لنتعلم منه كيف ينظر المسلم للكفار؟

إذا لم تكن مستعد للتسليم لوحي الله عز وجل قرآنا وسنة فلا تضيع وقتك المقال ليس لك, وإن كنت مستعد للتسليم لوحي الله لا تجد منه حرجا في نفسك فحي هلا, لأننا سوف نناقش هذه السؤال في الوحي فأقول مستعينا برب العالمين الذي خلق فسوى وقدر فهدى

حينما نتحرر من كل المؤثرات الخارجية ونقرأ الكتاب والسنة بحثا عن نظرة المسلمين للكفار نجدها مغايرة تماما لما يتصوره كثير من الناس

ففي القرآن نجد أن المسلم ينظر للكفار نظر شفقة وخوف عليهم من عذاب يوم عظيم, دون أن يحبهم, فهذا رسول الله يعلنها للكفار :

< وَأَنِ استَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ يُمَتِّعكُم مَتاعًا حَسَنًا إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤتِ كُلَّ ذي فَضلٍ فَضلَهُ وَإِن تَوَلَّوا فَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ كَبيرٍ >[هود: ٣]

وهذا نوح صلى الله عليه وسلم يقولها أيضا للكفار

< لَقَد أَرسَلنا نوحًا إِلى قَومِهِ فَقالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ إِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ > [ الأعراف: ٥٩]

وهذا هود صلى الله عليه وسلم أيضا :

< إِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ > [ الشعراء: ١٣٥]

وهذا شعيب صلى الله عليه وسلم أيضا

> وَإِلى مَديَنَ أَخاهُم شُعَيبًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ وَلا تَنقُصُوا المِكيالَ وَالميزانَ إِنّي أَراكُم بِخَيرٍ وَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ مُحيطٍ < [هود: ٨٤]

وهذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم أيضا:

> يا أَبَتِ إِنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ فَتَكونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا < [مريم: ٤٥]

وهذا مؤمن آل فرعون والله قد شهد له بالإيمان يقول محذرا قومه:

> وَيا قَومِ إِنّي أَخافُ عَلَيكُم يَومَ التَّنادِ <[غافر: ٣٢]

فالخوف على الكفار من عذاب الله ورجاء هدايتهم صفة بارزة في القرآن والسنة نجدها في آيات كثيرة وآيات من أبرزها قول مؤمن أصحاب القرية بعد أن قتلوه :

> قيلَ ادخُلِ الجَنَّةَ قالَ يا لَيتَ قَومي يَعلَمونَ۝بِما غَفَرَ لي رَبّي وَجَعَلَني مِنَ المُكرَمينَ < [يس: ٢٦-٢٧]

فقد كانت هدايتهم هي همّه حتى بعد أن دخل الجنة, وقد سجل الله حرقته هذه وذكرها لنا في كتابه لنعلم أن همَّ المسلم الأول هو إنقاذ الكفار من النار لا إدخالهم النار

نظرة المسلم للكفار

المسلم نبتة خير حيثما كانت أثمرت خيرا

هذا الهم يأمر اللّٰه المسلم أن يبذل فيه كل طاقة ولو كانت على حساب مشاعره، فأمره بدفع السيئة بالحسنة والصبر على ما يلاقي، فقال واصفا المسلمين المؤمنين :

< وَالَّذينَ صَبَرُوا ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِم وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُم عُقبَى الدّارِ > [الرعد: ٢٢]

إن الخوف على الكفار لا يتوقف عند الصبر على أذاهم وإنما يتجاوزه إلى خدمتهم تأليفا لقلوبهم ودعوتهم إلى اللّٰه عز وجل لعل اللّٰه أن ينقذهم من النار بأن يسلموا لله عز وجل، والدليل على هذا عمل يوسف صلى اللّٰه عليه وسلم عزيزا لمصر

فيوسف لم يكن يسعى لمنصب دنيوي وإنما كان يدعو أهل مصر إلى الإسلام ويتألفهم بعمله المتقن على قوتهم وهم لا يستجيبون له بدليل ما أخبر به مؤمن آل فرعون عنهم:

< وَلَقَد جاءَكُم يوسُفُ مِن قَبلُ بِالبَيِّناتِ فَما زِلتُم في شَكٍّ مِمّا جاءَكُم بِهِ حَتّى إِذا هَلَكَ قُلتُم لَن يَبعَثَ اللَّهُ مِن بَعدِهِ رَسولًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسرِفٌ مُرتابٌ > [غافر: ٣٤]

وبالرغم من ذلك ظل يخدمهم بصفته عزيز مصر لعل اللّٰه يهدي منه أحدا

إن ما أريد قوله أن المسلم ينظر للكفار نظرة إيجابية بمعنى أنه يسعى خيرهم وذلك بالنصح لهم بالإسلام وتأليفهم بما أمكنه, فهذا ما نجده في القرآن

بالطبع ما سبق سيكون صادما لكثير من الناس وخصوصا أبناء التيار الجهادي، ولكن إذا تأملوا ما ذكرت سيجدون أنني لم أقل شيئا لم آتي عليه بدليل صريح من القرآن

بالطبع هم لا يرون الكفار إلا أنهم أعداء على المسلم أن ينظر لهم دوما نظرة العداوة ويتمنى لهم الشر  ويسعى في إلحاق أكبر ضرر بهم ويحتجون ب :

دعاء موسى وهارون عليهما السلام على فرعون وملإه :

< وَقالَ موسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيتَ فِرعَونَ وَمَلَأَهُ زينَةً وَأَموالًا فِي الحَياةِ الدُّنيا رَبَّنا لِيُضِلّوا عَن سَبيلِكَ رَبَّنَا اطمِس عَلى أَموالِهِم وَاشدُد عَلى قُلوبِهِم فَلا يُؤمِنوا حَتّى يَرَوُا العَذابَ الأَليمَ > [ يونس: ٨٨]

ودعاء نوح صلى الله عليه وسلم على قومه:

< وَقالَ نوحٌ رَبِّ لا تَذَر عَلَى الأَرضِ مِنَ الكافِرينَ دَيّارًا >[ نوح: ٢٦]

والجواب على هذا أن موسى صلى الله عليه وسلم قد يئس من فرعون وملإه فقد وعدوه مرارا بأنهم سوف يؤمنون له ويرسلون معه بني إسرائيل, وكل مرة يرجعون كفارا من قبل :

﴿ وَلَمّا وَقَعَ عَلَيهِمُ الرِّجزُ قالوا يا موسَى ادعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفتَ عَنَّا الرِّجزَ لَنُؤمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرسِلَنَّ مَعَكَ بَني إِسرائيلَ۝فَلَمّا كَشَفنا عَنهُمُ الرِّجزَ إِلى أَجَلٍ هُم بالِغوهُ إِذا هُم يَنكُثونَ ﴾[الأعراف: ١٣٤-١٣٥]

فكان دعاؤه عليهم بعد يأس منهم وليس هو الأصل.

نوح صلى الله عليه وسلم فقد أخبره الله بأن قومه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن وأمره بأن لا يخاطبه فيهم فقال:

﴿ وَأوحِيَ إِلى نوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إِلّا مَن قَد آمَنَ فَلا تَبتَئِس بِما كانوا يَفعَلونَ۝وَاصنَعِ الفُلكَ بِأَعيُنِنا وَوَحيِنا وَلا تُخاطِبني فِي الَّذينَ ظَلَموا إِنَّهُم مُغرَقونَ ﴾[هود: ٣٦-٣٧]

لذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم بهلاك الكفار عن بكرة أبيهم حتى تطهر منهم الأرض لا يتنافى مع الأصل الذي عنده من الخوف عليهم من عذاب الله, فهؤلاء كفار لن يؤمنوا وعذاب الله سيصيبهم, والخير في إبادتهم حتى لا يضلوا غيرهم ممن سيخرج من أصلابهم.

في المقابل نجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم يراجع ملائكة العذاب في قوم لوط, طبعا شفقة عليهم, والله يسجل هذه المراجعة مادحا إبراهيم صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه:

< فَلَمّا ذَهَبَ عَن إِبراهيمَ الرَّوعُ وَجاءَتهُ البُشرى يُجادِلُنا في قَومِ لوطٍ۝إِنَّ إِبراهيمَ لَحَليمٌ أَوّاهٌ مُنيبٌ۝يا إِبراهيمُ أَعرِض عَن هذا إِنَّهُ قَد جاءَ أَمرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُم آتيهِم عَذابٌ غَيرُ مَردودٍ > [هود: ٧٤-٧٦]

يحتجون أيضا بقوله سبحانه:

<فَإِمّا تَثقَفَنَّهُم فِي الحَربِ فَشَرِّد بِهِم مَن خَلفَهُم لَعَلَّهُم يَذَّكَّرونَ> [الأنفال: ٥٧

فيقولون الله أمر بالتشريد بالكفار وهذا عكس الخوف عليهم من النار لأنه قتلهم على الكفر

والجواب أن هذه الآية تنتزع من سياقها ولو تأملها المسلم مع سياقها وتجرد من الأفكار المسبقة لوجد أن هذه الآية دليل على الحرص على هداية الكفار وإليك بيان ذلك

أولا سياق هذه الآية يتحدث عن اليهود الذي ينقضون عهدهم كل مرة فقد قال ربنا عز وجل:

< إِنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذينَ كَفَروا فَهُم لا يُؤمِنونَ۝الَّذينَ عاهَدتَ مِنهُم ثُمَّ يَنقُضونَ عَهدَهُم في كُلِّ مَرَّةٍ وَهُم لا يَتَّقونَ۝فَإِمّا تَثقَفَنَّهُم فِي الحَربِ فَشَرِّد بِهِم مَن خَلفَهُم لَعَلَّهُم يَذَّكَّرونَ >[الأنفال: ٥٥-٥٧]

ثانيا هذا التشريد الذي أمر اللّٰه به ليس مطلقا وإنما هو في الحرب, والغرض منه ذكره ربنا وهو أن يذكروا فلا يتجرؤون على نقض العهد مرة أخرى

أي أن الهدف منه في النهاية تذكير الكفار لكي يحافظوا على عهدهم لعل اللّٰه يهديهم إلى الإسلام وينقذهم من النار بذلك

فالتشريد بالعدد القليل الهدف منه تذكير العدد الكبير لعل يتعظ, ومن ثم هو إيجابي عموما بالنسبة للكفار لأنه يعطيهم الفرصة لعلهم يسلموا ويُنقذوا من الخسارة الأبدية والعياذ بالله.

للأسف حين غاب عن الوحي قرآنا وسنة صارت نظرة مدعي الإسلام للكفار نظرة هوى تهدف لمكسب مادي، وتعلل ذلك ببعض النصوص المقتطعة من سياقها, تاركة وراءها النصوص الصريحة القاطعة في الأمر